

## العلاقات بين الرجل والمرأة

منذ العصر الاسطوري ، وآساطير الشرق تُظهر المرأة كمخلوق مقدس .. فالمرأة في الشرق فارسة ، ترمي السهام ، تمتطي صهوة الجياد ، محاربة ، تقف خلف رجلها تُدعمه ، وتعضده .. تضع توقيعها بجوار الخاقان علي الفرامانات ، تنفرد بالحكم ، فتحكم ، وتُسيّر شعوب الدولة . هي أم حريصة علي أمرمتها ، تحافظ علي عفافها ، وعفتها .. تموت الحرة ولا تفرط في عرضها ، أو تكسب بشديبها . هي زوجة ، صديقة ، رفيقة علي درب الحياة .. طوال فترات التاريخ ، وحتى العصور الحديثة ، وثقافات الشرق تُعطي للمرأة حقوقها ، وقيمتها تعترف بحقوقها ، وتعتبرها عنصر فاعل ، ومعطاء للمجتمع . هكذا نراها في التراث العربي ، والتركي ، والفارسي .. المرأة ليست متاع يتوارث ..

فلسفات الشرق ( أنثي الطير تبني عشها ) وتراثنا وعقيدتنا الإسلامية ، ( الجنة تحت أقدام الأمهات ) مولانا جلال الدين الرومي يبرز قاعدة إنسانية فريدة حيث يقول ( الرجل العاقل ينهزم للمرأة ) و ( المرأة ليست مخلوقة بل خالقة ) أي أنها ليست سالبة ، مستهلكة بل موجبة ، منتجة ..

هكذا ؛ يبدو من تراثنا كله أن المرأة هي العنصر الفاعل في المجتمع ، هي التي تمنح الذرية .. هي التي تصهر عناصر المجتمع ، المثبت ، والمنفي سواء بسواء ، وتُعيدنا إلى الأجيال التي تُنشئها .. من هذا المنطلق .. منحها المجتمع الشرقي الإسلامي ماتستحقه من القيمة ، والتقدير .. لم ينظر إليها كمتاع جسدي ، لم يستغلها ، أو يستهلكها .. بل جعلها زهرة معلقة علي الصدور ، ريشة علي الرؤوس .. وأي مجتمع يهمل العنصر النسائي ، ولم يهتم بتعليمه ، أو بصحته ، أو رعايته هو كمن ينتظر الزرع من أرض بوار ، ومَنْ لا يؤمن لها الرعاية الصحية ، ومَنْ لا يُعلمها ، أو يربها ، هو كمن يقامر علي مستقبل الأمة ، أو يراهن علي حياة المجتمع ... فالمرأة أم ، وأخت ، زوجة ، وإبنة حبيبة .. وصديقة .. ملهمة .. وسكينة ..

\* \* \*

## المرأة كأم

إن الأمومة منحة وأمتياز وعطاء منحته الله سبحانه وتعالى للمرأة ، وكما أن اللجنة تحت أقدام الأمهات ، فليست هناك حبيبة تضاهي الأم " في التراث الشعبي " ولا نستطيع أن نحصي الأقوال ، والأمثال والحكايات الجميلة التي تتناول العلاقة بين الأم وصغيرها ؛ سواء من الناحية المادية أو المعنوية ، ولقد حدث جدل كبير خلال القرن الحالي ، حول إمكانية تعليم وتربية الأمهات في العالم الإسلامي ، ومازال هذا الجدل علي أشده ، هل تتعلم لتخرج للعمل ، أم لتقبع في دارها .. ليس في نطاق هذا الحيز مناقشة مثل هذه الأمور ، فهدفنا هنا رصد الاعراف والعادات التي نود الحفاظ عليها ونقلها من جيل الي جيل ومن عصر إلى عصر آخر .. حرصنا الشديد هو علي تلك الثقافة الجميلة التي تنتقل شفاهة من جيل إلي جيل ، وتتطور مع تطور الزمن مع الحفاظ علي أصالتها وجوهرها .. حرصنا الشديد علي القيم الثقافية الرفيعة ، التي تتحمل الأمهات أمانه نقلها إلي الأبناء عبر الأجيال .

فالمولود بالنسبة إلي أمه ، هو كنفها ، بل ربما تضحي الام بنفسها ، وبمالها من أجله ، فهو لديها أمانة الوطن والإيمان .. كانت الام طوال التاريخ حريصة كل الحرص علي تنشئة مولودها ( ذكراً كان أو أنثي ) بالشكل الذي يجعله مفيداً ، ونافعاً لكل من الوطن ، والعقيدة ، ويمكن الإشارة وتعداد الكثير من الامثلة لتوضيح ذلك ؛ في التاريخ العربي والإسلامي ، ولهدف ما ، يحكي الشاعر التركي يحيي كمال ( ١٨٨٤ - ١٩٥٨ م ) أن أمه كانت تلقنه حب الرسول محمد ﷺ والسلطان وأنها كانت تتمني أن تكون أم شهيد ، وهذا مطلبها الوحيد في الحياة فذكر السلطان هنا ، بعد النبي ﷺ لأنه هو الدولة ، هو الوطن . وكل الأمهات طوال تاريخنا وهن يتمنين أن يقدمن الشهداء .. كن يلقن أطفالهن ... إما غازي .. أو شهيد .. فالغزوات في سبيل الدين ، والاستشهاد في سبيل الوطن . كانت الأمهات ترضعن أطفالهم هذا الرحيق مع طهارة ألبانهن .. وفي وقتنا الحاضر يجب ان نتلقي كل عمل ، أو نشاط يتم في سياق القانون ، وطالما أن الهدف منه هو رقي الدين ، وتطوير الوطن ، والامه هو في منزلة الغزوات . والقائم به غازي في سبيل الله .

لكي يكون المجتمع صحيحاً ، سليماً ، معافى ، فلا بد من الإهتمام عن كسب  
بوضع الام . فالجنين يتناول اكسير حياته ، وأوائل تأثيراته من الأم ، فالمشاعر  
والاحاسيس التي تعيشها الام ؛ اشجانها ، وتصرفاتها .. إيمانها ، ومعتقداتها ...  
تلك هي أول ما نُحيط بالطفل ، وأول ما يستنشقة من رحيق .. ولكي نمنح المجتمع  
عناصر ، وأفراد أصحاء ؛ يجب ان تكون الامهات من ذوات المفاهيم ، والقيم التي  
تمكننا من ذلك .. يجب البحث والتحري عن الطرق والوسائل التي تؤمن ذلك ..  
يجب علي المجتمع إدراك هذه الدرجة الرفيعة ، وهذا السمو الذي منحه الله سبحانه  
وتعالي لهن ، وأن يكون التفكير حيالهن من هذا المنطلق . يجب أن يترسخ في  
الاذهان أن التقاليد ، والاعراف العائلية تتجمع كلها في المرأة لكونها أم .. فالأم هي  
العادات .. هي المراسم والاعراف ، فيها ، ولديها تتجمع ، وتتوحد كل هذه  
المفاهيم .. يجب أن يكون الأمر كذلك :

الام مدرسة إذا أعددتها  
أعددت شعباً طيب الأعراق

\* \* \*



## الأنثى، زوجة، حبيبة.. صليقة..

شاءت سُنّة الكون أن لا تكون الأنثى وحدها ، أو الذكر وحده ، بل خلقهما الخالق سبحانه لكي يكمل بعضهما البعض ، وجعل كل منهما محتاج إلي الآخر .. ولو نحينا الأمومة في العلاقة بين الرجل والمرأة - جانباً ، لوجدنا أن العلاقات الإنسانية التي تتطور فيما بينهما بشكل مختلف عن الأمومة ، تُشكل صفحات من أنشط صفحات التاريخ ، وأكثرها حيوية وعطاءً . تبرز في المقدمة الصفحات التي تعكس مشاعر الحب والعشق .. فعشق المهنة ، وعشق الوطن وحب الأمة ، وأخيراً ، العشق الإلهي .. إن نقطة الارتكاز ، أو لنقل محور كل هذه المشاعر هو الحب أو العشق المتمحور حول المرأة .. إن التراث والعنعنات الشرقية تجعل من المرأة المحبوبة " رفيق الروح " ولم ننظر إليها كمخلوق لإشباع مجموعة من المشاعر والاحاسيس والغرائز فقط ، فالمرأة المحبوبة المجللة ، الصديقة ، التي تنال ماتستحق من التقدير ، هي ذلك المخلوق القيم الذي يحمي العرين ، ويؤسس الدار ، وأم لكل الصغار . لا بد أن هناك أمثلة سالبة في كل مجتمع ، كان ذلك ، وسيكون . والرجل الذي يضرب زوجته ، فيما أنه يعيش في عصر غير طبيعي ، أو أنه شخص معتوه ، يتعارك مع كل من يصادفه ، من ذلك النوع الذي ينطبق عليه قول " يخانق دبان وجهه " .

حيثما يوجد الإنسان لا بد وأن تكون هناك خلافات ، والمهم أن نجعلها في أضييق الحدود .. ولا بد أن المرأة ستُبين عن نفسها في العلاقة التي بينها وبين الرجل .

أما تلك المرأة أو الأنثى ؛ التي هي زوجته ، في نفس الوقت تكون صديقة ، ومساعدة .. هي النصف الآخر ، الذي يحمل نفس النصيب في شراكة الحياة . هي نصف الدائرة الأسرية .

وكما أن هناك رجال لاحلم لهم ، فهناك إناث كذلك ، وفلسفتنا الشعبية توصي ، وتصير علي ضرورة أن يصبر الطرف المبتلي علي من أبتلي به .. حفاظاً علي عش الزوجية وحماية الصغار ، .. وبالرغم من ذلك .. فتراثنا الإسلامي ، كما أباح الزواج وحض عليه ، فقد أباح الطلاق ، وشرعه . فمن الجائز ألا تتفق الميول ، ولا تتهادن

الطباع ، ولا تتواءم العادات والتقاليد في هذه الحالة .. ولما تصل قناعة الجميع إلي استحالة العِشْرَة ، فيجب إنهاء الحياة الزوجية بالتفاهم والرضي .. وبشكل لا يفقد فيه الإنسان إنسانيته .

المرأة في الشارع ، في وسائل المواصلات ، وفي الأماكن العامة ايضاً ، هي المرأة ، هي أم ، أو أخت ، أو إبنة ، أو زوجه لفرد من أفراد الأمة ، ولهذا يجب إحترامها ، وتوقيرها .. وكيف نتصرف حيال أمهاتنا ، وأخواتنا ، وزوجاتنا ، وبناتنا ، هكذا يجب أن تكون تصرفاتنا حيال أي امرأة نقابلها في حياتنا اليومية ... "عاملوا الناس كما تُحبوا أن يعاملوكم وعاملوهم بالمعروف .."

إن النظر إلي المرأة علي أنها متعة جنسية ، أو جسدية فقط ، والتعامل معها بهذا المنطلق وحده ، في ذلك إهانة لخلق الإنسان ، فالإنسان ولد ومعه مجموعة من المشاعر والخصال ، والرغبات ، والميول ، والتعامل معه من جانب واحد من هذه الجوانب فيه ظلم ، فادح ، وبهتان جسيم .. وإذا ماتم التركيز علي جانب واحد ، وتطويره هو وحده ، في هذه الحالة لا يكون هناك إنسان سوي .. أو فرد عادي .

إن المرحلة الراهنة ، قد شهدت فيها مجتمعاتنا ، أسوة بالمجتمعات الأخرى ، تداخل المرأة في العديد من مظاهر الحياة ، ومحركاتها .. وأصبحت لديها القدرة ، والمهارة للقيام بالعديد من المهن .. وأستطاعت أن تصل إلى أعلى المستويات في شتى المهن .. والحال هكذا .. فإن النظر إليها بعين المتعة الجنسية فقط ، يعتبر أمراً غير مرغوب ، وليس من الصواب في شيء .

إن المرأة ؛ سواء في حياة الأسرة ، أو في حياة المجتمع تُعتبر أهم ، وأنشط عضو في الأسرة ، ومن هذا المنطلق ، فإنها الأجدر بالحب ، والإحترام ، ويكون هذا الحب ، وهذا الإحترام بقدر العطاء الذي تُقدمه للعائلة الكبيرة .. ولو أستطعنا أن نفيها حقها ، وبالقدر الذي نوقق فيه في هذا الصدد ، نكون قد كوّننا مجتمعاً مدنياً ، ومتحضراً وسليماً بالقدر نفسه .

## أغاني الزواج في تراثنا العربي

بقدر ما تلتقي دورة طقوس الإنفصال ، والغياب بالموت عند معظم شعوبنا وكياناتنا العربية وما يتبعها من أغاني وتراتيل جنائزية مصاحبة لنوعية الميت وجيله وصيته رجلاً ذكراً كان أو امرأة ، أنثى أو عروس بكرية . لم تتزوج . هدفها حماية الأحياء بتسكين روح الميت المتوفي وبعث أكبر قدر من الطمانينة والأمن لكلا . روح . المتوفي وذويه .

كذلك تلتقي الأغاني والأهازيج والموشحات المصاحبة لدورة الحياة وطقوس تجمعها بالزواج والإنجاب داخل رقعة فولكلور شعوبنا العربية بل إننا نتفق مع الباحث الفولكلوري العراقي "لطفي خوري" في أنه لا إختلافات كبيرة في الأسرة العراقية وتقاليدها المتعلقة بالزواج عن بقية الأسر في الأقطار العربية سوى في بعض التفاصيل التي تفرضها البنية السكانية ، وكذا القرابية والبيئية بالإضافة طبعا للقسمات الفئوية الدينية التي تشكل الوطن العربي من مسلمين وأقباط مصر ، ونساطرة العراق ، وموارنة لبنان وعلوي سوريا العليا .

إلا أن القاسم المشترك لها يتمثل في كونها طقوس أنتقال تجمعية من صلوات الشكر في الكنائس . كما يذكر كراب . فطقوس الإنتقال المصاحبة للزواج ، والميلاد لا تخلو علي طول الوطن العربي من جذورها الاولي السحرية والطوطمية والقبائلية .

بدءاً من استخدامات رش الملح الجماعي ، كمارسات السحر المشاركة ، والتزين ، والزغاريد ، ودق النواقيس ، والأصوات العالية ، والاعيرة النارية التي هدفها طرد الأرواح الشريرة ، وشرور العين وإشاعة الأمن .

ومروراً بزواج الاقارب ، أو الزواج الإتصالي الأسري القرابي القبائلي بل إن في تقاليد وإحتفالات الزواج ، والإنجاب ، والأغاني ، والأشعار ، والممارسات المصاحبة علي طول الكيانات العربية أرضاً خصبة حقاً بالنسبة لدراسة نسق أو منطلق جوهرى أو إستراتيجي لتراثنا العربي بكامله ، زهو النسق القرابي القبائلي الذي يتبدى بكثرة ملحوظة إلي أقصى مدى في تراثنا الفولكلوري العربي بعامة ، وبخاصة فيما يصاحب

الزواج ، ومراحل إنتقالاته ، لافرق فيها بين ما يجري في دلتا الرافدين ، ومصر ، وفلسطين أو المشرق العربي ، والسودان ، والخليج .

من ذلك الكثرة الموسمية للزواج ومراسمه التي عادة ما تنجم في نهاية موسم الحصاد ، وجمع الغله لدفع المهر ، أو وحدة مهر العروسة التي كانت في الجاهلية تحدد وحدتها النوق ، أو الجمال وعرف إلي اليوم بزواج المهر تمييزاً عن زواج "السفطة" لشمال العراق ، والفصل في وسطه تم عقد النكاح لحين الحنة ، أو ليلة الحناء ، وما يصاحبها من أغاني الفتيات المراهقات الكاشفة في معظمها عن محرماتهن . وصبواتهن في الحب ، والجنس والزواج .

كما أن في دراسة أغاني ، وممارسات الزواج ، والإنجاب وما يدور في فلكها من شعائر . وخرافات تفصيلية منها ما يتصل بإستخدامات نباتات بل ، وعطور ، ووحدات تشكيلية بعينها وما يتصل بأفعال العراك والعنف ، والمشاحنات لحظه خروج العروس بزيتها من بيت أبيها أو في حالة تخطيها للمرة الأولى عتبة بيت . الزوجية الجديد .

وما يتصل بشعائر تقديس عتبات البيوت التي ترجع بذورها في التراث خاصة داخل رقعة التراث الفلسطيني ، والأسطوري والفرولكلوري السامي إلي ما قبل الألف الثانية ق.م مثل سكب الماء وأحياناً الملح علي العتبات وكذا التوسع في استخدامات النباتات الخضراء كالنعناع ، وسعف النخيل توسلاً بسحر الشبية - الذي ينتج الشبية أو الشبشبية . وكذا شعائر إنتقالات إلى " أو من " حجرات النوم ، أو الداخلة ، ودور الداية أو القابلة بتعريف العروسين ودفع فك الدكة . من نقود للداية أو العروس وأغاني أخذ الوش التي - عادة - ما يجري علي مشهد من الداية بإستخدام الأصابع وعليها . المحرمة . الحريرية البيضاء وإشهارها بالأغاني عبر البلدة أو النجع "قولوا لابوها إن كان جعان يتعشي" .

وكل هذا مادة خصبة للمزيد من تكثيف وضع المرأة وأدائها . الأسطورية . الأولى منذ أساطير الخلق الأولى لحواء وخلقها من الضلع السادس للرجل المنحدرة منذ السومريين منذ ٥ آلاف عام وتبدو بكثرة في التراث السامي ، أو الكنعاني ، لحين سفر الخلق أو التكوين الأول والثاني .

\* \* \*